

الأخلاق الطبية عند المسلمين

د/ قدور كرومي
المدرسة العليا للأساتذة
بوزريعة - الجزائر

تاريخ الارسال: 2018-05-25 / تاريخ القبول: 2018-12-13 / تاريخ النشر: 2020-01-30.

Abstract :

The influence of Muslim doctors with Greek medicine did not prevent them from controlling their concepts and practices in accordance with the teachings of Islamic law. They tried to give the hippocrat's section an Islamic character, in which control them the profession of the doctor, guide he to the right direction, and control this them by an accountant of the state. Who issues teachings towards the medical profession, and the doctor's accounting laws.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد خير المرسلين، أمّا بعد: إنّ الوضعية التي آلت إليها اليوم مهنة الطب في المجتمع العربي الإسلامي، لتتذر بالخطر؛ حيث أصبح همّ بعض الأطباء المال ولو على حساب الكثير من الناس، وفقدوا روح المسؤولية تجاه المرضى أولاً، والمهنة التي يمتنونها ثانياً؛ لأنّهم باختصار، لم يلتزموا بالأخلاق الطبية التي التزم بها أسلافهم من الأطباء، وهذا هو السبب الذي دعانا إلى إعطاء نظرة عن هذه الأخلاق التي سادت في أوساطهم، وكيف أنّهم بها استطاعوا أن يؤثروا في غيرهم من الشعوب الأخرى. فما دوافع هذه الأخلاق؟ وما هي أسسها وأصولها؟ وكيف أثرت في غيرها؟

عوامل إنتاج الأخلاق الطبية عند المسلمين:

اجتمعت عوامل ثلاث في إنتاج ذلك، تمثلت في: التراث الطبي اليوناني أولاً، وامتداد الممارسات الطبية العربية البسيطة، ثانياً، والدين الإسلامي، ثالثاً.

أما العامل الأول، فإنّ الأثر اليوناني كان جلياً في أعمال الأطباء المسلمين؛ حيث بعد مرحلة الترجمة التي تراكمت في العصر الأموي¹، وبداية العصر العباسي، جاءت مهمة التأليف، والإنتاج في العصر العباسي الثاني، وبرز الكثير من الأطباء، على سبيل المثال، لا الحصر، الرازي²، وابن سينا³، وابن زهر⁴، وآل بختشيوغ⁵. والبارز من هذه الترجمات، كتب أبقرات الطبية ومجموعته⁶، وكتب جالينوس⁷. وكان مدار هذا الطب حول معرفة أسباب المرض، والوقاية منه بما يسمى نظرية الأخلاط⁸ (الأمزجة)، وما تبع هذه الأعمال من ضوابط أخلاقية، فرضها أبقرات في قسمه، هذا من جهة اليونان، أما من جهة الشرق، كان أثر مدرسة جنديسابور⁹ العراقية كبيراً، لما كان من تواصل بين العرب والفرس؛ حيث سيطر على هذه المدرسة، النصارى النساطرة، وبرز منهم بختشيوغ الذي قرّبه أبو جعفر المنصور، الخليفة العباسي، إليه وجعله طبيبه الخاص، واستمر بعد ذلك جيل آل بختشيوغ يُعلم ويطبب الناس. وكانت هذه المدرسة تملك تراثاً طبياً لا يستهان به؛ لأنّه جمع أعمال الطب الشرقي (الصيني والهندي)، والطب الفارسي، والنصراني، واليهودي، والطب اليوناني. أما العامل الثاني، عُرِف في الجاهلية، أناس بالطب¹⁰، وذلك باستعمال آلات يدوية، وأعشاب معينة في مداواة الناس بها، لكنّها في عمومها ارتبطت بالشعوذة والكهنة، فعندما جاء الإسلام هذبها من الشعوذات.

أما العامل الثالث، فقد حثّ الإسلام على ممارسة الطب، وتعلمه، استناداً إلى الأحاديث النبوية المختلفة، كقوله صلى الله عليه وسلم: {تداووا، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يضع داءً إلّا وضع له دواءً غير داء واحد الهرم}¹¹، وقوله صلى الله عليه وسلم: {لا ضرر ولا ضرار}¹². وأمره على بعض الصحابة إلى التداوي¹³. ولم يقف عند ذلك، بل أمر أن يكون الطبيب ممّاً يشهد له بالحرفة وصناعة الطب بقوله صلى الله عليه وسلم: {من تطبّب ولم يُعلم منه الطّبُّ قبل ذلك ذلك، فهو ضامن}¹⁴. استفاد الأطباء من هذه الأحاديث، واستنبطوا منها الحكم والفوائد، ساروا عليها في مهنتهم الطبية. بتراكم هذه العوامل وامتزاجها مع بعضها البعض، تشكّل نظام أخلاقي متكامل عند الأطباء المسلمين القدماء.

القسم الأبقراطي:

بعدما فتح أبوقراط المجال الطبي أمام كل الناس، قيّده بضوابط؛ بحيث ليس كل واحد يحق له الولوج فيه إلا إذا التزم ابتداء بالقسم الذي تتواجد فيه الضوابط، وعرف بعد ذلك عند المجموعة الأبقراطية بقسم أبقراط؛ حيث يبتدئ ذلك بقوله: "أقسم بأبلو Apollo الطبيب، وبأسقليبيوس، وبهجيائيا Hygiaca و باناسيا Panacea، وبجميع الآلهة والإلهات، وأشهدا جميعا على أن أنفذ هذا القسم و أوفي بهذا العهد..." وهذا القسم يعظم الآلهة التي كانت تعبد في عصره، ويعظم اسقليبيوس، باعتباره إله الطب في التراث اليوناني. ثم يضم تعليمات معينة، تلزم الطبيب المبتدئ والمحترف بإتباعها، ومن أمثلتها:

قال أبوقراط: " وسوف أستخدم العلاج لأساعد المرضى حسب مقدرتي وحكمتي، ولكن لا أستخدمه للأذى أو لفعل الشر، ولن أسقي أحدا السم، إذا طلب إليّ أن أفعل هذا.. ". وقال أيضا: " لن أعطي امرأة صوفة لإسقاط جنينها " ¹⁵.

إذا تأملنا في هذه التعليمات فإننا نستنبط قواعد اعتمد عليها أبو قراط ومجموعته لتوجيه الممارسات الطبية توجيهها سليما، وهي:

أولا: قاعدة عدم الإيذاء

ثانيا: قاعدة الإحسان

هذان المبدعان قائمان على دعامة أساسية، هي علاقة الطبيب بالمرضى، وتضم هذه العلاقة، السلطة الأبوية للطبيب على المريض؛ بحيث للطبيب الحق في اتخاذ القرار المناسب لصحة المريض أولا، وكنتم أسرار المريض، مهما كانت، ثانيا. وفسر جالينوس هذا القسم، ومزجه، بطبيعة الحال، بالتقافة النصرانية السائدة في وقته، فعندما تلقى الأطباء والعلماء المسلمين هذا الطب، وهذا القسم، اطلعوا على شروحات جالينوس. لهذا لا تكدر ترجمة للطب، أو تدوين للطب وأخلاقيته عند المسلمين إلا ويذكر فيها اسم جالينوس.

الأطباء المسلمون والقسم الأبقراطي:

عندما تمت ترجمة الكتب الخاصة بالطب اليوناني في عهده الهليني والهلينستي، من اليونانية إلى العربية، أو من السريانية إلى العربية، جاء دور التأليف في الطب وأخلاقياته عند المسلمين؛ بحيث تعاملوا مع القسم المترجم، وفق تعاليم الدين الإسلامي، فمثلا كان القسم يبدأ بتعظيم الآلهة، وأسقليبيوس، فالأطباء المسلمون استبدلوا ذلك بعظمة الخالق، الله سبحانه وتعالى، بقولهم: "أقسم بالله ربّ الحياة والموت، وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج .." ¹⁶. التزم الأطباء بذلك طوال الفترة التي ازدهرت فيها الحضارة العربية الإسلامية، وطبقوه على تلاميذهم.

وإن دلّ هذا الالتزام على شيء، إنّما يدل على وفاء الأطباء المسلمين لمهنة الطب أولاً، ولفضل القدماء، خاصة أبوقراط وجالينوس، على الطب ثانياً، ويقول السامرائي في هذا الصدد: " نلاحظ أنّ كثيراً من المؤلفين العرب يكتبونها - أي القسم - بشيء من التصرف غير المُخل بالمضمون، ويحيطونها بهالة من التقديس، مما يدل على إيمانهم العميق بإنسانية الصنعة، واحترامهم لمركزها الرفيع بين الصنائع، وجزيل نفعها للبشر"¹⁷

أسس الأخلاق الطبية عند المسلمين:

بالرغم من أنّ الأطباء المسلمين تأثروا بالقسم الأبقراطي إلّا أنّهم أضافوا إليه الكثير من التعاليم التي تتناسب مع الأصول الإسلامية، واستنبطوا في ذلك مبادئ لتوجيه الأطباء الوجهة الأخلاقية الصحيحة، أثناء كتابتهم وشروحاتهم على كتب أبوقراط وجالينوس، وهذه التعاليم تحت الممتن والمُقبل على مهنة الطب أن يلتزم بها، والشاهد على ذلك ما قاله بعض الأطباء، فأبو بكر الرازي مثلاً، يوصي أحد تلاميذه - الذي عُيّن في قصر الخليفة كطبيب - بقوله: "على الطبيب أن يكون مخلصاً لله".¹⁸ و "يتكل الطبيب في علاجه على الله تعالى، ويتوقع البرء منه". وقال الرهاوي في هذا: " ينبغي للطبيب أن يأخذ نفسه بالآداب والعلوم النافعة له في صناعة الطب، وبغير شك أنّ من لم يُحط بما يذكره واطرحه سيخجله إن كان له أدنى الحس يسيرا من العقل، فإنّه يستحي من الله جلّ ذكره الذي أنعم على الناس بصناعة الطب ومنح بها أفاضل يستحقون تعلمها ويخافونه ويرهبونه قبل الإقدام على عملها فضلاً عن العمل بها"¹⁹.

بهذا لم يكتف علماء الطب بتوجيه الأطباء إلى العلاقة بين الطبيب والمريض فقط، وإنّما ربطوا ذلك بأمر أسمى وهو علاقة الطبيب بخالقه، فإذا أخلص لله والتزم بشرع الله كان أجره في الدنيا والآخرة. وقامت الأخلاق الطبية عند المسلمين على أسس ثلاث هي: آداب مهنة الطب، ومسئولية الطبيب، والحسبة في الطب.

أولاً: آداب مهنة الطب:

حث الأطباء المسلمون القدماء بضرورة التزام الأطباء بآداب معينة في مهنة الطب، ولم يكن حثهم هذا مجرد أقوال، بل جسّدوها في كتبهم، وطبقوها في واقعهم، وقد تحدث الرهاوي في ذلك بقوله: "لقد عقلت بالآداب كما تلقح الشجرة بالشجر الكراب، رض النفس بالحكمة لتدرك الحقيقة كرياضة الراضة للجسم لتتصبر على المشقة"²⁰. إذا نظرنا في الكتب التي قدّمها الأطباء والمؤرخون للطب نجدهم يحددون سلوك مهنة الطب في ثلاث أسس: صفات الطبيب المحمود، وصفات الطبيب المذموم، وشروط ممارسة العمل الطبي.

صفات الطبيب المحمودة:

تمثلت فيما يلي:

- رحابة الصدر وتقبل سلوكيات المرضى والخدم، وفي هذا قال الرازي: "على الطبيب أن يوسع خلقه ويتحمل من المرضى ضجرهم وأي كلام سمعه منهم بغير تحصيل لم يحفل به".²¹
- التواضع للمرضى، بغض النظر إلى مستواهم الاجتماعي، فقراء أو أغنياء، قال الرازي: "واعلم أن التواضع في هذه الصناعة زينة وجمال"²²
- اللطف في الأقوال والأفعال، وذلك "أن يبالغ في تطبيب قلبه بلطيف الكلام، وأن يرفعه فوق جميع من في مجلسه من خدمه وغيرهم"²³.
- الرحمة مع المرضى والخدم؛ إذ "ينبغي للطبيب أن يكون فيه رحمة، ولا يتم ذلك إلا بتقوى وخوف من الله جلّ وعزّ"²⁴.
- الاتصاف بالعدل والمساواة.²⁵
- صيانة النفس، والاطلاع المستمر على الكتب، خاصة الطبية؛ حيث أول ما يجب على الطبيب فعله: "صيانة النفس عن الاشتغال باللهو والطرب، والمواظبة على تصفح الكتب"²⁶.
- العفة؛ حيث حثّ الرازي الطبيب بقوله: "أن يغيض طرفه عن النسوة ذوات الحس والجمال، وأن يتجنب لمس شيء من أبدانهن"²⁷. وذلك أن الذي لم يلتزم بالعفة، خاصة مع النساء كانت النتيجة: "كثرت قالة الناس فيه، فتجنبوه ورفضوه، وحرّم الدخول على الملوك وعلى الخاصة والعامة"²⁸. ونجد نفس المعنى عند الرازي؛ حيث قال: "لا ينبغي للطبيب أن يجاذب النساء لئلا يسقط عند العامة والرؤساء"²⁹.

صفات الطبيب المذمومة:

- هناك سلوكيات معينة، نُهي عنها الطبيب، وأمر بعدم الاتصاف بها، جسّدها الرازي في كتابه أخلاق الطبيب، فيما يلي:
- ادعاء مهنة الطب، وهو لا يملك من المهنة إلا الاسم؛ حيث قال: "واعلم أن اللصوص وقطاع الطريق، خير من أولئك النفر، الذين يدعون الطب، وليسوا بأطباء؛ لأنهم يذهبون بالمال، وربما أتوا على الأنفس، وهؤلاء كثيرا ما يأتون على الأنفس النفيسة"³⁰. وقد نقد الرازي بشدة كل أصناف الجهال، وأصحاب الحيل الذين يدعون صناعة الطب، وهم لا يملكون منها إلا الظاهر، فيضرون الطب كصناعة، ويضرون المرضى والمجتمع ككل.³¹
 - التكبر.³²
 - العجب.³³

- كثرة الكلام³⁴.
- عدم إظهار السموم القاتلة للمرضى، ولو كانت مفيدة³⁵.
- السكر، نتيجة الإدمان على الخمر وما شابهه³⁶.
- ترك الهذيان عند عامة الناس وخاصتهم؛ حيث قال: "ودع ما يهذي به جهال العامة"³⁷.
- الكهانة والشعوذة³⁸.

شروط ممارسة العمل الطبي:

1- **العلم بصناعة الطب**، والإحاطة بجوانبه، وفي هذا قال الرهاوي: "ينبغي للطبيب أن يأخذ نفسه بالآداب والعلوم النافعة له في صناعة الطب"³⁹. وإذا لم يحط الطبيب بهذه المهنة، وكان جاهلاً بها، عُوقب من طرف الحاكم، ويقول ابن القيم الجوزية عن الطبيب الجاهل: "إذا تعاطى علم الطبّ وعمله، ولم يتقدم له به معرفة، فقد هجم بجهله على إتلاف الأنفس، وأقدم بالتهوّر على ما لم يعلمه"⁴⁰.

2- **التأهيل في صناعة الطب**؛ لأنّ الطبيب غير المؤهل لهذه المهنة، سيدفعه جهله إلى ارتكاب الأخطاء أولاً، وإلى زعزعة ثقة مرضاه وخدمه، ثانياً، يقول الرهاوي: "لمن قد اختبر طبيبه وصح عنده فضله في صناعته، وثقته في أمانته، وإخلاصه الود والنصيحة لمن يريد تدبيره، أنّه يجب أن يستسلم في يديه ويثق بقوله وعمله، ويتجنب مخالفته"⁴¹. وبذلك ربط الرهاوي التأهيل، بإخلاص الطبيب لمهنته، ولمرضاه أولاً، والاتصاف بالأمانة ثانياً، والرحمة، والنصيحة لمرضاه ثالثاً. فإذا اجتمعت هذه الخصال الثلاث في الطبيب، أصبح المريض يثق فيه ثقة عمياء.

3- **كتمان السرّ**: وذلك بعدم إفشاء الطبيب الحالة المرضية التي يعاني منها المريض، وف هذا يقول أمّا كتمان السر من طرف المريض على الطبيب فهذا غير مشروع؛ لأنّ ذلك يجعل الطبيب فاقداً للأسباب الحقيقية التي تُعينه على تشخيص المرض، وهذا ما قاله الرهاوي: "ينبغي للمريض إن أحس من نفسه باضطراب وخشي سوء تمييزه أن يوصي خدمه بكتمان حالاته إلّا عن طبيبه"⁴². ويُشدد الرازي على المريض الذي يكتُم سر مرضه عن طبيبه، بقوله: "ومن أعظم الخطأ أنّه إذا فعل ذلك، كتمه الطبيب، مريد بذلك دفع اللائمة عن نفسه، ومن أخطأ خطأ وكتمه، فقد جنى جنائتين، وارتكب خطيئتين، والطبيب لا يهتدي لعلاج ما لم يفش إليه سرّه"⁴³.

4- **الغاية من مهنة الطب منفعة المريض وعدم إيذائه**، وفي هذا قال الرهاوي: "ينبغي أن تلزم نفسك شيئين أحدهما أن تنفع المريض والأخرى ألاّ تضره"⁴⁴.

5- تجاوز علاقة الطبيب بالمريض إلى علاقة الطبيب بالمجتمع ككل، وذلك بتجسيد الصفات التي ذكرناها أعلاه، والابتعاد عن النواهي، والعمل على خدمة المريض بغض النظر عن مستواه الاجتماعي، غني أو فقير.⁴⁵

مسئولية الطبيب:

إنّ الذين يتحدثون عن المسؤولية الطبية اليوم في الغرب عامة، والمجتمع العربي الإسلامي خاصة، من ناحية الشرع أو القانون، قد سبقهم الأطباء، والمؤرخين، والفقهاء المسلمين في الحضارة العربية الإسلامية، وفصلوا فيها، وشدّدوا على الأطباء الذين وقعوا في الأخطاء، ويقول الرهاوي في ذلك: "إنّ الغلط من الطبيب إذا وقع بالإنسان، كان أعظم كثيرا من أغلاط أصحاب الصنائع الآخر".⁴⁶ ويعتبر ابن القيم الجوزية من العلماء الذين دققوا في هذا الأمر عند شرحه لمصطلح الضامن التي وردت في الحديث النبوي الشريف. ولهذا سنركز على ما قدمه في هذا المجال، من خلال مؤلفه الطب النبوي؛ حيث حدّد مسؤولية الطبيب بشروط تبين مواضع الخطأ وطبيعته، ويمكن حصرها في قسمين أساسيين هما:

أولاً: مسؤولية الطبيب الحاذق:

نظر ابن القيم إلى ذلك من وجهين هما:

الوجه الأول⁴⁷: غير مسئول عن الخطأ الذي ارتكبه بسبب توفر ثلاث شروط هي:

- 1- طبيب حاذق (ماهر، ومؤهل، ومحيط بمهنته).
- 2- لم يُعرف عنه الخطأ في مهنته.
- 3- مأذون له من طرف المريض، أو من طرف ولي الأمر.

الوجه الثاني: مسئول عن الخطأ الذي ارتكبه، بسبب توفر الشروط الآتية:

- 1- " طبيب حاذق، أذن له، وأعطى الصنعة حقها، لكنّه أخطأت يده، وتعدّت إلى عضو صحيح فأتلفه ... فهذا يضمنُ لأنها جناية خطأ...".⁴⁸
- 2- " الطبيب الحاذق الماهر بصناعته، اجتهد فوصف للمريض دواءً، فأخطأ في اجتهاده، فقتله". وكان جواب ابن القيم أنّ هناك اختلاف، منهم من يرجع الدية على بيت المال، ومنهم من يرجعها إلى الطبيب في حد ذاته.⁴⁹
- 3- "طبيب حاذق، أعطى الصنعة حقها، فقطع سلعةً من رجل أو صبي، أو مجنون بغير إذنه، أو إذن وليه، أو ختن صبيا بغير إذن وليه فتلف". وكان جواب ابن القيم على ذلك، وفق الحالات الآتية:

- أ- الطبيب مسئول؛ لأنه تولّد من فعل غير مأذون فيه.
- ب- الطبيب غير مسئول؛ لأنه محسن، وما على المحسنين من سبيل.
- ت- إن كان الطبيب متعديا على المريض، فإنّه مسئول، أمّا إن كان غير متعديا فلا مسئولية عليه⁵⁰.

ثانيا: مسئولية الطبيب الجاهل:

وحدّد هذا القسم بحالتين هما:

- أ/ عدم مسئولية الطبيب الجاهل على خطئه؛ بسبب توفر شرطين⁵¹ هما:
- علم المريض (المجني عليه) أنّ الطبيب جاهل، ولا يعرف مهنة الطب.
 - إذن المريض للطبيب الجاهل، بعد علمه بجهله.
- ب/ مسئولية الطبيب الجاهل على خطئه؛ بسبب توفر شرطين⁵² هما:
- إذا ظنّ المريض أنّ الطبيب له علم في مهنة الطب.
 - إذن المريض للطبيب الجاهل بمعالجته؛ لأنّه في اعتقاده يملك صناعة الطب.

الحسبة في الطب:

إنّ العمل الذي يقدمه الطبيب محدود بالإطار الذي يحدده نظام الحسبة؛ بحيث لا يمكن للطبيب أن يخطو خطوة واحدة إلّا وهو تحت رقابة المحتسب، باعتبار أنّ الطب مهنة من المهن الخاضعة للرقابة تحت سلطة القاضي، ولهذا عمل الأطباء المحترفين على امتحان الطبيب، لجعله طبيبا ماهرا وحاذقا، وفي هذا قال الرهاوي: " إنّ محنة الطبيب واجبة لأسباب أقدمها شرف الموضوع لصناعة الطب، والموضوع هو الإنسان المحتاج إلى استعمال الطب"⁵³. ولكن قبل تعليم الطبيب وامتحانه، يجب معرفة سيرته الذاتية؛ لأنّ من كانت سيرته طيبة هيئ للتطبيق، ومن كان غير ذلك أبعد عنه، وفي هذا قال الرهاوي: " ينبغي للمعلم أن يختبر من المتعلم حالات نفسه قبل أن يعلمه، فإن وجدها موافقة للتعليم أخذ في تعليمه، وإن وجدها غير موافقة رام إصلاحها، فإن تهيأ صلاحها وإلاّ صان العلم"⁵⁴. ومن أكثر العلماء الأوائل الذين كتبوا في الحسبة، عبد الرحمن بن نصر الشيزري في كتابه "تهاية الرتبة في طلب الحسبة"، وكان الدافع لكتابته، ما شاهده من انحرافات وغش في المهن، ومنها مهنة الطب، وحدّد المهام التي يجب على المحتسب أن يقوم بها تجاه الطب والأطباء، وسنورد بعضها فيما يلي⁵⁵:

أولاً: امتحان الأطباء من طرف المحتسب، فإن وجدهم يتقنون المهنة أبقاهم عليها، أما إن وجدهم لا يتقنونها أمرهم بعدم الاشتغال بها، والعمل على الاجتهاد أكثر لاكتسابها، ويتم اختبارهم بكتاب "محنة الطبيب" الذي كتبه حنين بن إسحاق.

ثانياً: المراقبة المستمرة من طرف المحتسب للممارسات الطبية، وذلك بالاستناد على النسخ التي يقدمها الطبيب (الوصفة بالمفهوم المعاصر)؛ إذ في حالة ما إذا كان هناك تلف في عضو من أعضاء المريض، أو قتله، استطاع المحتسب معرفة مؤهلات الطبيب، والأدوية التي قدّمها.

ثالثاً: يُجبر المحتسب الأطباء على الالتزام بمضمون القسم الأبقراطي. قال الشيرزي: "وينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد بقراط، الذي أخذه على سائر الأطباء، ويحلفهم ألا يعطوا أحداً دواءً مضراً، ولا يركبوا له سما، ولا يصفوا التّمائم عند أحد من العامة، ولا يذكرّوا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل، وليغضوا أبصارهم عند دخولهم على المرضى..".

رابعاً: يُجبر المحتسب الأطباء على امتلاك جميع الآلات الطبية، الضرورية والمعروفة في ذلك الوقت.

خامساً: يمتحن المحتسب الصيادلة؛ لأنّ هذا المهنة مرتبطة بالطب ارتباطاً وثيقاً، لهذا ليس كل واحد لديه الحق في امتحانها، يقول الشيرزي في ذلك: "فالواجب على الصيادلة أن يراقبوا الله عزّ وجل في ذلك، وينبغي للمحتسب أن يخوّفهم، ويعظّمهم ويُنذّرهم العقوبة، والتّعزير، ويعتبر عليهم عقاقيرهم في كل أسبوع".

النتائج: نخرج من هذه العجالة، أنّ الأخلاق الطبيّة عند المسلمين، كانت أكثر اتساعاً، ومرونة ممن سبقتها في العصور السابقة؛ حيث يمكن أن نستنبط مبادئ وقواعد سارت عليها مهنة الطب طيلة وجود الحضارة العربية الإسلامية، وهي:

- قاعدة المنفعة للمريض.
- قاعدة عدم إيذاء المريض.
- قاعدة الإحسان للمريض.
- قاعدة احترام شخص المريض.
- قاعدة الإخلاص والأمانة.
- قاعدة العدل والمساواة.
- قاعدة المحافظة على سر المريض.
- قاعدة استقلالية المريض في آرائه.
- قاعدة الحسبة، ومراقبة الأطباء.

الهوامش:

¹⁻ نقصد بذلك الكتب اليونانية التي قام بترجمتها النصارى واليهود من اليونانية إلى السريانية إلى العربية، أو مباشرة من اليونانية إلى العربية، واشتهر في ذلك المترجم إسحاق بن حنين، وحنين بن إسحاق. ينظر: راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 1430هـ-2009م.

²⁻ أبو بكر الرازي (250هـ/864م-311هـ/923هـ) عالم وطبيب مسلم، من أصل فارسي، له مؤلفات في الطب، أشهرها: الحاوي في الطب.

³⁻ أبو علي الحسين ابن سينا (370هـ/427هـ) فيلسوف وطبيب وعالم مسلم، من أصل فارسي، له عدة مؤلفات في الطب، أشهرها: القانون في الطب.

⁴⁻ عبد المالك بن زهر بن عبد المالك بن مروان (464-557هـ/1072-1162م) طبيب مسلم من الأندلس، اشتهر في الطب، وله مؤلفات فيه، منها: كتاب الأغذية.

⁵⁻ آل بختشيوغ، هم العائلة التي اشتهرت بالطب منذ وجودها في فارس قبل الإسلام، في منطقة جنديسابور، ثم احتضنها بلاط الخليفة العباسي المنصور، ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه العائلة تداول مهنة الطب، جيلاً بعد جيل، مدة أربعة قرون.

⁶⁻ أبقرط (Hippocrates) (460 ق م-370 ق م) طبيب يوناني، يلقب بأبي الطب لما كان له من باع فيه، حيث استطاع أن يتجاوز الخرافات والشعوذات التي علفت به، وفتح المجال أمام كل الناس لامتحان بمهنة الطب مع تقييده بالقسم الذي عرف باسمه بعد ذلك.

⁷⁻ جالينوس (Galien) (130م-200م) طبيب وفيلسوف يوناني نصراني، كان التلميذ الوفي لأعمال أبقرط، وله مؤلفات في الطب تدور حول التشريح، والأمراض، والأدوية، وكان له الأثر الكبير على المسلمين.

⁸⁻ نظرية الأخلاط: هي السوائل التي تحدث في البدن، نتيجة هضم الطعام في المعدة والأمعاء، وبالتعبير المعاصر الأنزيمات المهيأة لتفتيت الغذاء، فتؤدي إلى اعتدال مزاج الكائن أو اختلاله.

⁹⁻ كانت هذه المدرسة منارة عالمية في الطب، تأسست على يد "شابور" في الفرس آنذاك (إيران حالياً)، وذلك بسبب فرار الأطباء النصارى من روما والقسطنطينية.

¹⁰⁻ منهم: الحارث بن كلدة، وابن أبي رمثة، والعاص بن وائل. ينظر: راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 1430هـ-2009م، ص28.

¹¹⁻ أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى (3855)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2-930).

¹²⁻ من حديث أبي سعيد سعد بن سنان الخدري رضي الله عنه، وهو حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني، ومالك في الموطأ.

¹³⁻ أمر الرسول عريفة الأسلمية أن تعالج الصحابي سعد بن معاذ إثر إصابته بسهم من قبل المشركين في غزوة الخندق. ينظر: راغب السرجاني، المرجع السابق، ص31.

¹⁴⁻ رواه أبو داود في كتاب: الديات، والنسائي في كتاب: القسامة، وابن ماجه في كتاب: الطب، من حديث عمرو بن شعيب.

- 15- ول ديورانت، قصة الحضارة ، م2، ج2، ص 192،193.
- 16- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة ص27- www.almaten.info/ebooks/arabic-lecture/a029.pdf
- 17- السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج2، ص 32.
- 18- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، ص 19.
- 19- إسحاق الرهاوي، أدب الطبيب، ص 26.
- 20- نفس المصدر، ص 25.
- 21- نفس المصدر، ص 105.
- 22- أبو بكر الرازي، المصدر السابق، ص 84.
- 23- نفس المصدر، ص 31-32.
- 24- إسحاق الرهاوي، المصدر السابق ، ص 105.
- 25- نفس المصدر، ص 201-202.
- 26- أبو بكر الرازي، المصدر السابق، ص 29.
- 27- نفس المصدر، ص 30-31.
- 28- إسحاق الرهاوي، المصدر السابق ، ص 105.
- 29- أبو بكر الرازي، المصدر السابق، ص 81.
- 30- إسحاق الرهاوي، المصدر السابق ، ص 185-192.
- 31- أبو بكر الرازي، المصدر السابق، ص 35-36.
- 32- نفس المصدر، ص 38.
- 33- نفس المصدر، ص 40.
- 34- نفس المصدر، ص 46.
- 35- نفس المصدر، ص 65.
- 36- نفس المصدر، ص 77.
- 37- نفس المصدر، ص 89.
- 38- إسحاق الرهاوي، المصدر السابق ، ص 26.
- 39- ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص 112.
- 40- إسحاق الرهاوي، المصدر السابق ، ص 131.
- 41- نفس المصدر، ص 139.
- 42- أبو بكر الرازي، المصدر السابق، ص 68.
- 43- إسحاق الرهاوي، المصدر السابق ، ص 108.
- 44- ينظر: الرهاوي، ص 111-112، الرازي، ص 31-32.
- 45- الرهاوي، المصدر السابق ، ص 166.
- 46- ابن القيم، المصدر السابق، ص 113.

- 47- نفس المصدر، ص 114.
- 48- نفس المصدر، ص 114.
- 49- نفس المصدر، ص 114-115.
- 50- نفس المصدر، ص 113.
- 51- نفس المصدر، ص 113.
- 52- نفس المصدر، ص 113.
- 53- إسحاق الرهاوي، المصدر السابق، ص 166.
- 54- نفس المصدر، ص 161.
- 55- عبد الرحمن الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة طبعة مصر 1946م www.al.mostafa.info

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ط7، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1426هـ-2005م.
- 2- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، تحقيق: عبد اللطيف محمد العبد، ط1، مكتب دار التراث، مصر، 1397هـ-1977م.
- 3- عبد الرحمن الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة طبعة مصر 1946م www.al.mostafa.info
- 4- ول ديورانت، قصة الحضارة، حياة اليونان، ترجمة: محمد بدران، ج2، م2.
- 5- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة www.almaten.info/ebooks/arabic-lecture/a029.pdf
- 6- السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، الجزء الثاني، دار نضال، بغداد، 1985م.
- 7- راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 1430هـ-2009م.
- 8- أدب الطبيب، إسحاق بن علي الرهاوي، تحقيق كمال السامرائي ط1، 1992م، مركز التحقيقات إيران.